



تحليل الصورة الرمزية المائية للغيم والبحر في ديوان " كم قديم غداً " لجوزف حرب

Analysis of the watery symbolic image of the cloud and the sea in the collection of "How Old Tomorrow" by Joseph Harb

علي خضري ¹ جامعة خليج فارس (إيران) Alikhezri@pgu.ac.ir	علي ثامري جامعة خليج فارس (إيران) sameriali99@gmail.com
---	---

المعلومات المقال	المخلص:
تاريخ الارسال: 2024/08/17	يقوم الشعراء، اعتمادًا على براعة نظرهم للعالم، بإعادة إنشاء الطبيعة وتقليدها، وأحيانًا يعيدون تشكيل موضوع واحد في أذهانهم. ومع مرور الوقت وتغير البيئة، تجد المواضيع والأشكال والكلمات تأخذ معانٍ رمزية جديدة، مثل لفظتي "الغيم والبحر"، اللتين تظهران بأشكال مختلفة في دفاتر شعر الشعراء. نهدف في هذا المقال إلى وصف وتحليل الحضور الرمزي "للغيم والبحر" في ديوان جوزف حرب. من خلال الصور المختلفة التي نراها للغيمة والبحر، ندرك أن الارتباط الذي يحدث مع عناصر الطبيعة يبين لنا مشاعر الحب والحزن والفرح التي تحوم في باطن الشاعر. لذا، من خلال هذه الدراسة سوف نرى موهبة جوزف حرب في خلق المفاهيم والتصاویر الرمزية الجديدة.
تاريخ القبول: 2024/10/17	
الكلمات المفتاحية: ✓ الشعر: ✓ الطبيعة: ✓ الرمز: ✓ جوزف حرب:	
<i>Article info</i>	<i>Abstract :</i>
Received 17/08/2024	<i>This Poets, relying on their keen perception of the world, recreate and imitate nature, and sometimes they reshape a single subject in their minds. Over time, as the environment changes, themes, forms, and words take on new symbolic meanings, such as the terms "cloud" and "sea," which appear in various forms in the poetry collections</i>
Accepted 17/10/2024	

of poets. In this article, we aim to describe and analyze the symbolic presence of "cloud" and "sea" in the dirwan of Joseph Harb. Through the different images we see of the cloud and the sea, we realize that the connection with elements of nature reveals the emotions of love, sadness, and joy that swirl within the poet. Thus, through this study, we will see Joseph Harb's talent in creating new concepts and symbolic images.

Keywords:

- ✓ Poetry:
- ✓ Nature:
- ✓ Symbol:
- ✓ Joseph Harb:

1. مقدمة:

إن القصائد الجميلة في عالم اليوم هي نتيجة اختلاف نظرة الشعراء إلى العالم والكون بأكمله مع بعضهم. لذا؛ نرى وجهة نظرهم اليوم طرأت عليها تغييرات عميقة وجذرية عبر الزمن. فنظرة الشاعر للعالم الداخلي والخارجي تفرض نفسها على علاقات مختلفة، مثل العلاقة اللغوية التي تعطي للشاعر القدرة على التحدث بلغة رمزية. و"أساس الشعر المعاصر يقوم على الصورة"¹، ولهذا نرى أن الطبيعة وعناصرها هي أهم ما يصنع الصورة في الشعر. ولذلك، فإن الطبيعة حاضرة في كل فترات الشعر العربي، ولكن ليس بنفس الصورة والطريقة. وقد تباينت درجة اهتمام الشعراء بالطبيعة وعناصرها بحسب موقف كل منهم، وكذلك الرغبة والميل نحو أدب ذلك العصر.

لذا؛ فإن "الطبيعة كتاب مفتوح فيه بريق الإبداعات والرؤى. إنها لوحة فنية رائعة أبدعها الخالق سبحانه. بل هي قصيدة ذات ألوان زاهية مليئة بالحب والرضا. إنه ذلك السر الرائع والعبقري الذي يحمل أحياناً مهداة للخلق والإبداع، تؤلفها الرؤى وتغنيها العيون"². نرى أن لحضور الطبيعة دلالات في عالم الشعر، كالطابع الرمزي الذي يعد من أهم العناصر التفسيرية والفنية في النص. لذا، بما فيها من أنفاس إلهية تكشف عن هموم وآلام الإنسان نتيجة الأحداث السائدة والحزينة التي يشهدها العالم. كما أن عنصر الماء في الطبيعة، كعامل من عوامل الخير والبركة والحيوية والظهور، وبسبب هذه الظاهرة الطبيعية التي يمتلكها، نال مكانة واسعة في أعمال الشعراء المعاصرين إلى حد كبير.

كما نعلم، فإن للطبيعة تأثيراً مهماً على الأدب، وكل عنصر منها يرسل رسالة بحالات مختلفة، إما سلبية أو إيجابية. وبما أن كل العناصر الطبيعية لها أهميتها، فإن عنصر الماء كالسحاب والبحر له شعبيته الخاصة بين الشعراء، وذلك للتعبير عن الأفكار التي تجري في نفوسهم. ولذلك، نرى البحر والغيم في الشعر المعاصر يكتسبان أهمية كبيرة في هذا العصر الذي نشهد فيه تطور التكنولوجيا وتغير أفكار الشعراء. فأصبح البحر والغيم مكاناً لكشف المجهول واستخراج الرموز الذهبية من الكلمات التي يبدعها الشاعر المعاصر.

يساعدنا عنصر الغيم والبحر في هذا المقال على فهم أسلوب وأهداف الشاعر جوزف حرب، كما يشير إلى الحالات المختلفة كالحب والشوق والمشاكل والأفكار التي كانت تتفاعل في ذهنه وتبين لنا ما يتراكم في داخله وما يعتمل في

¹ - راهي، فاطمة، ويداله بهمني مطلق، (1394)، ابر در اشعار اخوان ثالث و منوچهری دامغانی، مؤتمر بحوث اللغة الفارسية وآدابها، فترة 8، ص 348.

² - ثامري، علي، والآخرين، الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر محمد عبدالله البريكي، مجلة التواصلية، المجلد 10، العدد 2، ص 126.

صدره. ولفظنا الغيم والبحر اللتان صنع منهما الشاعر جوزف رموزاً للشوق والعاطفة والخوف، نراها تترك أثراً عاطفياً في نفس المتلقي. كما ابتكر الشاعر جوزف حرب دلالات مختلفة تساعد على إثراء رمزية الغيم والبحر والكشف عن مشاعره تجاه الحياة والمجتمع. لذلك، فإن ما سنواجهه فيما يلي هو صور رمزية بكل دلالاتها الإيجابية والسلبية. هدفنا في هذا البحث هو تحليل الصور الرمزية المائية المتكونة والمصنوعة من الحالات والتجارب المختلفة التي مر بها الشاعر اللبناني جوزف حرب.

1.1 أسئلة البحث:

إننا في هذا البحث نسعى إلى الإجابة عن السؤالين التاليين:

- كيف تجلت الطبيعة وعنصرها المائي في باطن الشاعر جوزف حرب؟
- ما هي التصاوير الرمزية "للبحر والغيم" عند جوزف حرب؟

2.1 فرضيات البحث:

- بما أن الطبيعة في الأدب العربي فكرة أساسية وعنصرها المائي هو موضوع يتكرر في العمل الأدبي، فإن إصرار الشاعر على تكرار هذه الألفاظ (البحر والغيم) يدل على أن هناك مسافة معينة بينه وبين هذه العناصر تجعله منغمساً في فكرة معينة.
- ومن أبرز هذه الرموز الطبيعية التي ظهرت بكثرة في شعر جوزف حرب، رمزية البحر والغيم التي تشير أحياناً إلى حالات ودلالات مختلفة ومتناقضة في شعره، مثل الحب والأمل والخوف والظلام.

3.1 خلفية البحث:

هناك دراسات عديدة تناولت موضوع الرموز الطبيعية بشكل كامل أو فقط رمزية الماء "للبحر والغيم" في الشعر، وقد تنوعت هذه الدراسات بحسب مناهج الباحثين وتوجهاتهم، ومنها: "ابر در اشعار اخوان ثالث ومنوجهري" (الغيم في قصائد اخوان ثالث ومنوجهري) لفاطمة راهي ويداله بهمني مطلق. تناقش هذه الدراسة الاختلاف في حضور الغيمة ورمزيتها في شعر منوجهري واخوان ثالث. ويتضح لنا أن الغيمة في شعر اخوان ثالث تصبح روحاً وعاطفة، فترمز إلى الندم والمصائب التي تحدث في الحياة والمجتمع، أما الغيمة في شعر منوجهري فتصبح مشرقة وتنقل رسالة مليئة بالبهجة والمرح.¹ و"برسي نماد دريا در آثار عطار" (دراسة رمز البحر في أعمال العطار)، بقلم مريم محمودي، نرى من خلال هذه المقالة أن عطار استخدم رمز البحر لتوضيح المفاهيم المتعددة التي يشكلها لفظ البحر. فنرى للبحر متعلقات كثيرة في آثار العطار كالقطرة والموج واللؤلؤ والسفن... لذا؛ البحر في اشعار العطار يرمز إلى سر الله عز وجل وكل المخلوقات هي قطرات منه.² وبحث تحت عنوان: "رمزية البحر في قصيدة شرود" لحيدر حسن علي وأحمد رضا حيدر يان شهري. وكانت غاية الباحثين هي تسليط الضوء على لفظ البحر ومعرفة رموزه في الشعر

¹ - راهي، فاطمة، ويداله بهمني مطلق، (1394)، ابر در اشعار اخوان ثالث ومنوجهري دامغان، مؤتمر بحوث اللغة الفارسية وآدابها فترة 8، ص358.

² - محمودي، مريم، (1389)، برسي نماد دريا در آثار عطار، بحث في اللغة الفارسية وآدابها، السنة 2، العدد 8، صص 173-192.

القديم والحديث، ثم توصلنا إلى أن لفظة البحر لم تكن مستخدمة كثيراً في الشعر الجاهلي، على عكس الشعر المعاصر الذي أضفى للفظ البحر رموزاً كثيرة منها: الحب والهدوء واللقاء وغيرها الكثير¹. ورسالة بعنوان: "رمز البحر في الشعر الفلسطيني المعاصر"، للكاتب منير عوض حسين المقيد، انطلق الكاتب لكي يبين لنا من خلال رسالته بأن العرب استخدموا مصطلح الرمزية في الشعر العربي إلا في العصر العباسي. وتوصل الباحث لمعرفة مهمة بأن البحر تشكل عند الشعراء العرب بأشكال مختلفة ورموز كثيرة مثل: البحر رمز للألم والثورة والخلاص. وقد توصل الباحث إلى هذه المعلومة بأن حضور البحر عند الشعراء الفلسطينيين هو حضور إيجابي وسليبي؛ فالحضور الإيجابي للبحر في الشعر الفلسطيني يبين لنا رمزية الوطن والثورة والعودة والحين، والحضور السلبي يبين البحر رمزاً للمحتل والموت والخوف والجنون². كما كتب بحث بعنوان "تحليل الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر محمد عبدالله البريكي" للباحثين: علي ثامري، وعلي خضري ورسول بلاوي. تتشكل هذه المقالة من بحثين في قسمها التحليلي؛ البحث الأول لها يرتبط بالرموز النباتية ودلالاتها مثل رمزية النخلة والوردة وشجرة الزيتون، أما البحث الثاني لهذه المقالة فيرتبط بالرموز المائية المتشكلة من النهر والبحر والغيم. وفي بحثهم نرى كيف ينقل الشاعر الصور الصادقة والحيوية التي تبين لنا مدى غموض الطبيعة من خلال عناصرها المتنوعة.

2. القسم النظري

1.2 نبذة عن حياة جوزف حرب (1943-2014):

ولد الشاعر اللبناني الكبير جوزف حرب في لبنان في 30 تشرين الثاني 1943 في بلدة الناقورة. ويعتبر جوزيف حرب من أهم الشعراء في لبنان والعالم العربي، الذين وصلت قصائدهم إلى أعلى المستويات. ومما ساهم في انتشار قصائده ارتباطها بالوطن والحب والقضايا الإنسانية، وبالسيدة فيروز التي غنت من كلماته حوالي عشرين أغنية، منها: "أسواره العروس". تخرج من كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية في الستينيات، ثم تابع دراسة اللغة العربية وآدابها في الجامعة نفسها، وحصل على إجازة في اللغة العربية وآدابها. وفي عام 1976 التقى بالفنان الشهير زياد الرحباني، الذي عرفه إلى والدته فيروز. قام جوزيف حرب بإعداد مجموعة من البرامج الإذاعية في الإذاعة اللبنانية الرسمية، كما كان له العديد من المسلسلات التلفزيونية منها: "مع مصباح" و"رماد وملح" و"قلب العرب" و"أوراق الزمن المر" وغيرها. له

¹ - حسن، علي حيدر، وأحمد رضا حيدرمان شهري، (1402)، رمزية البحر في قصيدة شرود، المؤتمر العلمي الدولي الثاني للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة فردوسي مشهد، صص 269-275.

² - عوض حسين المقيد، منير، (2017)، رمز البحر في الشعر الفلسطيني المعاصر، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الإسلامية بغزة، ص 159.

الحاجبين أو الفم أو اليد أو اللسان، وهو تصويت خفي به كالهمس، ويقال امرأة رمازة أي غمازة، من رمزته المرأة بعينها رمزا، إذ غمزته، ومن المجاز رمز (فلان بكذا) إذا أغراه به والرميز (كزبير العصا)؛ لأنه يرمز بها للضرب"¹. وهكذا تجتمع كل الرؤى ويتحدد مفهوم الرمز للدلالة على إشارة أو إيماءة، من خلال إقامة علاقات سرية غير مصرح بها بين الأشياء والأرواح، أو بمعنى آخر الكلام الخفي الذي يصعب فهم معناه. فالرمز مرادف للعلامة الحسية، وسمه الرمز مرتبطة بالإنسان قديماً وحديثاً.

وأما الرمز في تعريفه الاصطلاحي والفني نراه "يعود إلى عصور قديمة فهي عند اليونان تدل على قطعة من فخار، أو خزيف تقدم إلى الزائر الغريب، علامة على حسن الضيافة، وكلمة الرمز (Symbole) مشتقة من فعل يوناني يحمل معنى الرمي المشترك (Jetar ensemble) أي اشتراك شيعين في مجرى واحد وتوحيدهما، فيما يعرف بالدال والمدلول، الرموز والمرموز إليه"².

ومما نفهمه من هذه التعريفات يمكننا القول إن الرمز هو أداة فنية يستخدمها الشاعر لغرض جمالي محوره الأساسي الإيحاء والتكثيف، مما يفتح الباب أمام قراءات متعددة إحداها علاقة الرمز بالغموض.

وتقع العلاقة بين الرموز والغموض في إطار استفزاز القارئ للوصول إلى نص يمتلك مرونة الذوق وتحديد القراءة، إذ لا مفر للشاعر من استخدام الرموز. وهذا ما يدل على تغلغل المعنى الحدائي في وجدان الشعراء المعاصرين، وسد النقص المعروف بالتعبير العادي، "لأن الرمز أداة لتفجير كل طاقات المعاني المتربسة في الشعور واللاشعور عن طريق الوجدان أو تكثيف الانفعال الذي يعمل فكر المتلقي على محاولة إدراكه"³.

ومما سبق نستنتج أن الرمز مصطلح مرن وحيوي، إذ يقوم الشاعر بعملية شحن الكلمات بمعانٍ متطورة وصور شعرية جديدة، مما يجعل السياق الشعري مفتوحاً للتأويل، لأن الإيحاء هو ما يمكن أن يعبر عن المعنى والمشاعر والعواطف العميقة الموجودة في الذات الإبداعية. اللغة العادية غالباً ما تكون غير قادرة على استيعاب التجارب الجديدة التي تعبر عن روح العصر. وقد يتجاوز الشاعر واقعه الحالي ولا يرسمه، فيعتمد على التكثيف والإيحاء.

4.2 الصورة الرمزية:

ظهرت تقنية الرمزية في أوروبا في القرن التاسع عشر، ونجدها تعكس الواقع المادي الملموس في الذاكرة على شكل صور عقلية مرتبطة بالحالة النفسية وردود أفعالها الانفعالية. وتستخدم هذه الحالة عندما يرى الإنسان نفسه غير قادر على إدراك حقائق الكون من خلال صورة مادية، لأن العقل البشري وحده غير قادر على تفسير الظواهر الكونية التي

¹ - الحسيني الزبيدي، محمد مرتضى، (2011)، تاج العروس من جواهر القاموس، تر: نواف الجراح، ط1، تلمسان(الجزائر): دار الأبحاث للترجمة والنشر، صص 628-629.

² - لوحيشي، ناصر، (2011)، الرمز في الشعر العربي، ط1، إربد (الأردن): عالم الكتب الحديث، ص 9.

³ - خضر، حمد عبدالله، (2013)، أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، ط1، إربد (الأردن): عالم الكتب الحديث، ص 181.

قد لا تشكل الوجود كله.¹ مثلما يقول هيربرت سبنسر: "إن كل دراسة تقصد إلى البحث في حقيقة الكون واستقصاء علته لا بد أن تنتهي إلى مرحلة يقف حيالها العقل عاجزاً، لا يستطيع أن يدرك عندها عن الحق شيئاً... أي غرابة في ما يصادف العقل البشري من إبهام لا يقوى على معرفته؟ إنه أعد لكي يفهم ظواهر الأشياء، ولا يعدوها إلى ما خفي من أстарها.. ولكننا في الوقت نفسه لا نستطيع أن ننكر هذا الشعور الذي تضطرب به نفوسنا من أن وراء هذا الغشا الظاهر حقيقة كامنة"². إذا فكرنا بشكل منطقي وجذري، يتبين لنا أن الرمزية تنطلق من الحقائق المادية في مشاهدتها الحرفية، وتعبّر عنها من خلال صور رمزية ذات دلالات مجردة عميقة ومخفية توحى بالفكرة ولكنها لا توضحها، وترتك للمتلقى متعة البحث عن هذه الدلالات التي ستوصله إلى الغاية المنشودة.

3. القسم التحليلي:

1.3 الصورة الرمزية للبحر عند جوزف حرب:

يعد البحر عاملاً جغرافياً في حياة الدول المطلة عليه، وقد استخدمته الأمم في أنشطتها الاقتصادية عبر التاريخ، فساهم في تشكيل مجتمعاتها وثقافتها ومخيلاتها على مر العصور.³ ونرى الشعراء المعاصرين يستخدمون البحر رمزاً للظلمة ورمزاً للحب، مثل الشاعر المعاصر إلياس أبو شبكة، الذي كان أول شاعر رومانسي يوظف البحر رمزاً للرحم في قصيدته التي حملت عنوان "غلو".⁴ في معظم القصائد، يرمز البحر إلى الخوف والرغبة، كما يرمز للسفر والرحلة على طريق الحياة واستكشاف المجهول، وكان يتخذ أحياناً رمزاً للمنقذ القوي والمنقذ من آلام الواقع.⁵ كما استخدم جوزف لفظة "البحر" في ديوانه الشعري " كمّ غدمٌ غداً" رمزاً لتغيير الزمن، ورمزاً لهلاك الأمم والماضي. فيقول في قصيدته "ماء" التي جعل فيها البحر يتكون من صورتين طبيعيتين، فقام بتشبيه ماء البحر بدموع العين لأن كليهما فيهما ملوحة. وتصبح وظيفة العين والبحر واحدة ويحدث بينهما اتصال يشكل رمز التغيير والتحول في النصوص

التالية:

ماء
الْبَحْرُ الْمَالِحُ،
ماء
العين

¹ - جمعة البيطار، هدية، (2010)، الصورة الشعرية عند خليل حاوي، ط1، أبوظبي: دار الكتب الوطنية، ص63.

² - الأيوبي، ياسين، الرمزية، (1988)، ط2، طرابلس (لبنان): دار الشمال، ص33.

³ - آباد، مرضية، ورسول بلاوي، (2013)، موتيف "النهر والبحر" في شعر يحيى السماوي، مجلة العلوم الانسانية الدولية، العدد 1، ص8.

⁴ - مقدم متقي، امير، (2013)، قفزات جديدة لفهوم البحر في الشعر العربي المعاصر، مجلة العلوم الانسانية الدولية، العدد 1، ص11.

⁵ - آباد، مرضية، ورسول بلاوي، (2013)، موتيف "النهر والبحر" في شعر يحيى السماوي، مجلة العلوم الانسانية الدولية، العدد 1، ص9.

المالِحُ
 يتحوَّلُ
 غَيْمًا
 ماءً
 البَحْرُ.
 وَعَلَى
 الجَفْنَيْنِ،
 يتحوَّلُ
 غَيْمًا
 ماءً
 العين¹.

إذا دققنا النظر في هذه النصوص، نجد أنفسنا أمام لوحات فنية طبيعية رائعة تعكس صوراً ورموزاً جديدة للبحر، غالباً ما تكون مختلفة عما كان يعنيه البحر في العصور القديمة. فالبحر هنا رمز لتغير العصر والزمن وتطوره، حيث نراه في يوم من الأيام بشكله الأصلي كالبحر المالح الكبير، وفي يوم آخر يتحول نفس البحر إلى غيمة كثيفة، وفي يوم آخر يتحول إلى قطرة من الدموع. فلفظة "البحر" في هذا الموضع الشعري توحى بانفعال وتجلب الحزن والفرح، وتدل على عمق المشاعر والعواطف، مما جعل الشاعر يستخدمه رمزاً للحياة وتجاربها القاسية. فقد جمع الشاعر هذا الحزن والفرح في صورة واحدة، حيث جلب السعادة في صورة البحر حينما يتحول ماءؤه إلى غيمة مليئة بالمطر، وجلب الحزن في صورة من عين مليئة بالدموع. وهكذا، في نصوصه التالية يتحدث بلغته الشعرية الفخمة عن ماضيه المثلث مستلهماً من لفظة "البحر" في قصيدته "حرَّكه":

مَعِيَ حَجَرٌ
 هُوَ
 الحَرَكَةُ،
 رَمِيتُ بِهِ،
 مِيَاهَ البَحْرِ،
 كَمَا حَرَكْتُ رِيحَ المَسَاءِ
 بِرَكَه.

¹ - حرب، جوزف، (2013)، كم غديم غداً، رياض الريس، صص 120-121.

وَهَا قَدْ
مَرَّ هَذَا الدَّهْرُ،
وَحَتَّى الْآنَ هَذَا الْبَحْرُ مَا
هَدَّاتُ دَوَائِرُهُ،¹

نرى جوزف في هذه النصوص يبحث عن طريق العودة إلى ماضيه لتحسين ما مضى، ونراه يرد أن يتحرر، فيسعي للتفاعل مع محيطه ليتخلص من الأعباء. فيستخدم عنصراً مهماً في الطبيعة وهو البحر ليظهر للقارئ ما بداخله. لذا، البحر هنا رمز للماضي، وهذا الماضي يعود للشاعر نفسه. وأما الحجر الذي ألقاه في البحر وحرك ربح المساء، فهو نفس ما فعله من أفعال ومغامرات في الماضي، فاللفظة "الحجر" تشير إلى الصعوبات والمشاعر التي يحملها الشاعر. لذلك، فهو يرى البحر عالم ماضيه، حيث يستجيب العالم نفسه لأعماله، التي تركت بصمتها حتى الآن. ورغم مرور السنين، لا يزال باطن الشاعر يدفع الثمن. فالبحر في هذه النصوص مستوحى من جوهر الشاعر ومعرفته الباطنية، وتتفاعل كلمات الحجر والريح والنهر والدوائر في النص لتخلق وعياً واضحاً في كياناتنا الداخلي، لكي نشعر برغبة قوية في هموم الشاعر ومصائبه. وبعد خروج الشاعر من ماضيه وذكرياته الصعبة، يعطي للبحر رمزاً مملوءاً بالألم والمشقة في قصيدته "أَقْرَعُ أَجْرَاسِي":

تَعَالَوْا
نَنْقُذْ هَذَا الْجَسَدَ الْعَتَلَّ، وَهَذِي
الرُّوحَ الْمَطْعُونَةَ

فِي
أَبْيَضِهَا.
يَا
أَهْلَ الْأَرْضِ أَقَلُّ مَأْسِي الْأَرْضِ
الْجُوعُ.
لَا شَيْءَ
سَلَاحِ الْآنَ
أَمَامَ الْآتِي.
وَصَحَارَى
وَصَحَارَى

¹ - المصدر السابق، صص 150-151.

وَالْغَيْمُ عَاشِقٌ،
حَزِينَةٌ بِهِ عَيْنَاهُ.
يُحِبُّ وَجْهَ الْبَرْقِ، مِثْلَ يَوْمِ
صَيْفٍ فَوْقَهُ
مَسَاهُ.

وَيَضْحَكُ الْغَيْمُ لَوَجْهِ الْبَرْقِ وَهُوَ
لَامِعٌ
لَكِنَّ
إِذَا اخْتَفَى
بَكَاهُ.¹

هنا الشاعر استلهم من تصوير وحادث واقعي يحدث دائماً في الطبيعة وهو الارتباط بين عنصر الغيم والرعد والبرق. وهنا جعل من هذه الحادثة الطبيعية صورة رمزية رومانسية تبين لنا الحب بين الرجل والحبيبة، فتعتبر الغيمة هنا رمزاً للحب والشوق. وقد خلق الشاعر علاقة غامضة بين الغيمة والبرق في هذه النصوص الرومانسية، التي تظهر لنا صورة من الحب عندما يكون خالصاً وعميقاً. لذلك أعطى الشاعر للغيم شخصية الرجل الغارق في الحب. وهذا يعطي سبباً لذهن المتلقي ليرى لفظة "البرق" في هذا المثال كصورة رمزية من العاشق المغرم. وضحكة الغيمة ذاتها، التي تدل على السعادة والنقاء، نرى مصدرها هو الشكل والصورة المضيفة والمشرقة للبرق. فإذا نفذ البرق بدأت الغيمة في البكاء بسبب الهدوء والوحدة التي تشعر بها تلك الغيمة (الحبيبة) العاشقة. فمن خلال الكلمات التي استخدمها الشاعر مثل (وَجْهَ امْرَأَةٍ) و(وَجْهَ الْبَرْقِ) و(الْغَيْمُ عَاشِقٌ) و(يَضْحَكُ الْغَيْمُ) نفهم أنه قد خلق علاقة سرية ورومانسية بين الغيمة والبرق، التي يمكن أن تكون صورة حديثة للحب الخالص أمام أعين القارئ. وأما في النصوص التالية نرى جوزف يخلق صورة قوية تعبر عن الألم والمعاناة في قصيدته "مَشْهَدَانُ":

إِذَا
سَمِعْتُ
الرَّيْحَ،
وَالْأَفْقَ يَبْدُو
مَقْبَرَهُ،
مَبْعَثَرَهُ،

¹ - المصدر السابق، صص 196-197.

فِيهَا الضَّرِيحُ،

قَائِمٌ

قُرْبَ

الضَّرِيحُ،

وَالْغَيْمُ مِنْ حَرْبَةِ ذَا الْبَرْقِ

كَمَصْلُوبٍ

جَرِيحٍ،

مَرَّتْ

بِبَالِي

وَالسَّمَاءُ مُمْطِرَةٌ،

جُلُجَلَةٌ

الْمَسِيحِ.¹

في هذا التصوير الرمزي نرى العلاقة بين الغيم والبرق، علاقة حزينة مليئة بالخوف. فهنا الغيمة التي هي رمز الظلم والحزن تشبه المسيح المصلوب على رمح البرق. ولذلك عند التأمل يفهم القارئ أن البرق يظهر شخصية الإنسان القاسي، والغيم وظيفته هي إظهار الشخصية المظلومة للمسيح (ع). وأراد جوزف من أستلهامه للفظه "الغيم" أن يبين لنا مدى الوجع الذي تحمله المسيح (ع)، فصنع ألفاظا تدل على هذا الظلم كـ(مَصْلُوبٍ) و(جُلُجَلَةُ الْمَسِيحِ). ومن خلال هذه النصوص نتعرف أكثر على جوزف وعلاقته مع عناصر الطبيعة التي هنا استخدمها لتبين الظلم والوجع، وهذا الفن إحدى الطرق المثيرة للاهتمام التي استخدمها الشعراء القدماء والمحدثون لإظهار آلام الناس في المجتمع. وفي النصوص التالية نرى محتوى آخر من ارتباط الغيم مع الحمام في قصيدة "زَوَارِقُ":

قَالَ

الْحَمَامُ:

لَبَسْتُ غَيْمٌ

مَلَأْتُ وَجْهِي بِالْمَطَرِ.

فَتَحَّتْ رُوحِي

لِلرِّيَّاحِ،

وَاللِّجْرَاحِ.²

¹ - المصدر السابق، صص 209-210.

² - المصدر السابق، صص 274-275.

إنّ الدلالات التي يستلهمها القارئ من هذا النص ذات طابع إيجابي، لأن الغيم حين يمطر يصبح المصدر الدائم للحياة والنمو الذي يغذي المستقبل. وبالتالي، الشاعر يخلق من الغيم رمزاً لإزالة كل الشرور كما كان يتوقع المتلقي أن يواجهها. لكن الشاعر يخلق صورة جديدة ويربط سعادة الحمام بالمطر النازل من الغيم. ولم تفقد لفظة "الحمام" في هذه النصوص معانيها الرئيسية التي تدل على الحرية والنقاء، بل أعطىها الشاعر شخصية إنسان مظلوم وحكيم، بأسلوبه الفني في التوصيف. والصورة الرمزية الإحساسية التي صنعها جوزف في هذا السياق نراها عندما يلبس الحمام "الغيم" كالثوب، وتمتلى وجوه الحمام بالمطر، المطر الذي يصور رجاء الحياة أمام أعين الحمام. فالغيمة في هذا المثال رمز المشاعر المتقلبة والخير والبركة، على رغم من أن قلوب هذه الطيور مليئة بالقسوة. لذا؛ فإن الطير في هذه النصوص الشعرية يقدم للقارئ فكرة عن الباحثين عن الحرية، وجوزف استلهم "الغيم" ليعين صورة من الطريق الذي يأخذ الإنسان إلى باب الحرية والعدالة. وأيضاً نرى صورة رمزية أخرى للفظ "للغيم" مملوءة من الخير والبركة في النصوص الآتية:

مد لي
يد
غيمك،
كي
أقبلها
أيها
الشتاء.
عندما
أغلقت خلفها
باب
بيتي،
تساقط
الثلج،
وجنت
العاصف¹.

¹ - حرب جوزف، (2013)، كم قديم غداً، رياض الريس، صص 293-294.

ويبين للمتلقي أن المشاعر ليست تحت السيطرة دائماً. ثم يخرج من الوردية التي ترمز إلى الحب أو الذكرى التي تمثل شيئاً عزيزاً، ويدخل إلى باطن طائر حينما يطير ويتبدل إلى غيم ممطر، يصبح مصدراً للراحة والأمل. فهنا كما رأينا وتأملنا، نرى الغيم رمزاً لباطن الشاعر، الباطن الذي يتغير حاله كل لحظة ويذوق من أنواع طعم الحياة بين المر والحلو. وفي النصوص التالية نرى الشاعر وهو في حالة من الذجر الذي جعله يعبر عن صراعه الداخلي بين إيمانه بالله وغبه من تصرفات البشر:

آمَنْتُ بِاللَّهِ
لَكِنْ
كَمْ غَضِبْتُ وَقَدْ
فِي ظِلِّكَ اقْتَتَلْتُ
يَا رَبِّي
البَشَرُ.
أَرَى الْعُقُولَ فَقِيرًا
رَثَّ مَلْبَسَهُ،
كَغَيْمَةٍ
ضَاعَ
مَنْ قَمَصَانَهَا الْمَطْرُ¹.

الغيمة هنا، وهي في صورتها الحسية، تبين لنا الفقر العقلي والمعنوي لبعض الناس الذين يحومون حول الشاعر. فالغيمة في الرؤية الرمزية التي خلقها الشاعر تدل على الفقر والمستقبل الضائع. والصورة الإيجابية الدائمة للغيمة التي كانت تظهر الخير والبركة للمتلقي، تحولت إلى صورة تجسد فقدان الأمل أو الضياع. فجعلها الشاعر دلالة على الجفاف وانقطاع الخير والأمل والبركة. والشاعر كلما اقترب إلى الله عزوجل، واجه إنساناً جبروه على الملامة. لذا هنا الشاعر استهدف عقول هؤلاء البشر وصورهم "كغيم" خفيف دون مطر. ففي هذه النصوص كانت للمتلقي رسالة من جوزف يتحدث فيها حول التحديات التي تواجه البشرية، وكيف يمكن للإيمان أن يترافق مع مشاعر الغضب والإحباط.

¹ - المصدر السابق، صص 305-306.

4. الخاتمة

الصورة الرمزية الطبيعية في شعر الشاعر جوزف تعكس العلاقة الوثيقة بين الإنسان والطبيعة، حيث يستخدم الشاعر عناصر الطبيعة كرموز تعبر عن مشاعر وأفكار معينة. من خلال الارتباط الحاصل بين الطبيعة والأصوات، والروائح، والحركات فيها، يمكن للشاعر أن ينقل مشاعر الحب، الحزن، الفرح، أو الوحدة. اتخذ جوزف حرب من الرمز أداة جمالية تخدم الموضوع الشعري وتؤدي وظيفة أسلوبية تكشف عن أهدافه التي يسعى نحوها. فالرمز عنده صورة لافتة للنظر ومتنوعة، تشكلت في باطنه وكلماته مع محاورها المتنوعة. فاللفظة "البحر والغيم" عندما ظهرت في شعره كانت بشكل واضح، مما جعل القارئ والمستمع يعيش الحدث الشعري الذي ينقله إلى أجواء الشاعر النفسية. إذ كان يضيف على الألفاظ مشاعره الخاصة، لهذا السبب نرى البحر والغيم في موجزه الشعري يرمزان إلى حالات مختلفة كالحياة والحب والظلام والارتواء الحسي والروحي. الشاعر جوزف حرب جعل للفظه "الغيم" ارتباطاً وعلاقة بالبرق التي كانت لهذه العالقة حالتين: مرة تبين لنا الصورة الإيجابية التي هي الحالة الرومانسية والحب الصادق، ومرة تبين لنا الحالة والصورة السلبية التي تتشكل من الخوف والتوتر والظلام. أما البحر، فقد كان في مخيلة جوزف يتشكل من صور رمزية متنوعة كصورته الرمزية للماضي والخراب والظلم والدمار.

5. المصادر والمراجع

آباد، مرضية، ورسول بلاوي، (2013)، «موتيف "النهر والبحر" في شعر يحيى السماوي»، مجلة العلوم الانسانية الدولية، العدد 1، ص 1-18.

ابن منظور، (2008)، لسان العرب، ط1، العناصر، برج بوعرييج (الجزائر)، دار الأبحاث.

الأيوبي، ياسين، الرمزية، (1988)، ط2، طرابلس (لبنان)، دار الشمال.

ثامري، علي، والآخرون، «الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر محمد عبدالله البريكي»، مجلة التواصلية، المجلد 10، العدد2، ص 125-144.

جمعة البيطار، هدية، (2010)، الصورة الشعرية عند خليل حاوي، ط1، أبوظبي، دار الكتب الوطنية.

حسن، علي حيدر، وأحمد رضا حيدرمان شهري، (1402)، «رمزية البحر في قصيدة شروذ»، المؤتمر العلمي الدولي الثاني للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة فردوسي مشهد، إيران، ص 269-275.

الحسيني الزبيدي، محمد مرتضى، (2011)، تاج العروس من جواهر القاموس، تر: نواف الجراح، ط1، تلمسان(الجزائر): دار الأبحاث.

الخوراني، رامز، (2023)، سنابل الشعر رحلة في حقول جوزف حرب، ط1، الشارقة، دار البيان العربي.

حضر، حمد عبد الله، (2013)، أسلوية الانزياح في شعر المعلقات، ط1، إربد (الأردن)، عالم الكتب الحديث. راهي، فاطمة، ويداله بهمني مطلق، (1394)، «ابر در اشعار اخوان ثالث و منوچهری دامغانی»، مؤتمر بحوث اللغة الفارسية وآدابها، فترة 8 إيران.

عوض حسين المقيد، منير، (2017)، رمز البحر في الشعر الفلسطيني المعاصر، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة الإسلامية بغزة، فلسطين. لعرافة، نزيهة، (2016)، التجربة الفنية في شعر يوسف و غليسي _قراءة في نماذج من ديوان تغريبة جعفر الطيار_، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب وللغات، جامعة ماي 1945 قلمة، الجزائر.

لوحيشي، ناصر، (2011)، الرمز في الشعر العربي، ط1، إربد (الأردن): عالم الكتب الحديث. محمودي، مريم، (1389)، «برسي نماد دريا در آثار عطار، بحث في اللغة الفارسية وآدابها»، السنة2، العدد8، ص 173-193.

مقدم متقي، امير، (2013)، قفزات جديدة لفهوم البحر في الشعر العربي المعاصر، مجلة العلوم الانسانية الدولية، العدد1، ص 1_18.